أجرى المقابلة: بلال ضاهر

ضابط متقاعد ومؤرخ
وعضو كنيست أسبق

مردخاي بار أون: على إسرائيل الاعتراف بمساهمتها في نشوء قضية اللاجئين

تخرج الدكتور مردخاي بار أون، في العام ١٩٤٨، من دورة الضباط الأخيرة التي نظمتها منظمة الهاغانا الصهيونية في فلسطين قبل قيام إسرائيل وتأسيس الجيش الإسرائيلي. وبعدها مباشرة انضم إلى قوات هذه المنظمة، ثم إلى قوات الجيش الإسرائيلي، التي حاربت القوات الفلسطينية المحلية والجيوش العربية. وشارك في احتلال سبع أو ثماني قرى فلسطينية في منطقة اللد، وفي مقدمتها قرية زكريا. وقال إنه لم ير عملية تهجير الفلسطينيين من قراهم، لكنه أكد أن القوات الصهيونية ولاحقا الإسرائيلية كانت تجعل الفلسطينيين يرحلون عن قراهم إذا لم يرحلوا عنها طواعية.

بار أون (٨٤ عاما) هو ضابط متقاعد برتبة عقيد، ومؤرخ وسياسي وعضو كنيست سابق عن حزب راتس، الذي أصبح بعد اتحاده بحزب مبام، حزب ميرتس. وقد تدرج بار أون في عدة مناصب عسكرية، لكن المنصب الأهم الذي تولاه كان مدير مكتب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي، موشيه ديّان. وقد تولى هذا المنصب قبل العدوان الثلاثي على مصر، في العام ١٩٥٦، وشارك في جميع الاجتماعات السرية بين إسرائيل وبين بريطانيا وفرنسا، التي تم خلالها الاتفاق على شن الحرب ضد مصر. ليس هذا وحسب، بل إن بار أون كان الشخص الوحيد الذي دوّن بروتوكولات هذه المحادثات.

ويؤكد بار أون أن صفقة الأسلحة التشيكية – الإسرائيلية، في العام ١٩٤٨، غيرت وجه الحرب في حينه وزادت قوة القوات الصهيونية. ويعتبر أن صفقة الأسلحة التشيكية – المصرية، في العام ١٩٥٦، كانت سببا لانضمام إسرائيل إلى العدوان الثلاثي

(*) المديرة العامة للمركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية– مدار.

ضد مصر، بعد أن تسلحت بأسلحة فرنسية. ويقول إنه خلال المحادثات السرية، عشية العدوان، حصلت إسرائيل على موافقة فرنسية مبدئية لبناء مفاعل ديمونا النووي.

وعندما اندلعت "حرب الأيام الستة" في حزيران العام ١٩٦٧، كان بار أون ضابط التربية والتعليم الرئيس للجيش الإسرائيلي. وهو يعتبر أن إسرائيل كانت مجبرة على شن هذه الحرب، رغم معارضة قيادتها السياسية الحرب. ويرى أنه قبل هذه الحرب دار صراع بين الأجيال بين القيادتين السياسية والعسكرية في إسرائيل، بين السياسيين "العجائز" والعسكريين الشباب.

وشدد بار أون على أن إخفاق إسرائيل في حرب تشرين العام ١٩٧٣ سببه ليس عامل المفاجأة في بدء الحرب من جانب مصر، وإنما عدم إدراك قادة الجيش الإسرائيلي أن طبيعة الحرب قد تغيرت. ويرى أن الرئيس المصري، أنور السادات، هو الذي انتصر في هذه الحرب، لأنه حقق ما أراد تحقيقه منها، وهو الوصول إلى نقطة تتوقف الحرب فيها وتتبعها اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل.

وقضى بار أون نصف حياته في الجيش الإسرائيلي، الذي تسرح منه في العام ١٩٦٨، ليبدأ العمل في صفوف الحركة الصهيونية العالمية. وبعد ذلك انضم إلى حركة السلام الآن الإسرائيلية المناهضة للاحتلال والاستيطان. وانتخب في العام ١٩٨٤ عضوا في الكنيست. ويعتبر بار أون أن حل الصراع الإسرائيلي – الفلسطيني يجب أن يتم من خلال إقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل، لكنه يعارض بشدة تطبيق حق العودة، رغم أنه يشدد على وجوب اعتراف إسرائيل بمساهمتها في نشوء قضية اللاجئين، وأنه لا يمكن منع الفلسطينيين من أن يحلموا بالعودة.

وتخصص بار أون بعد ذلك في التأريخ لإسرائيل والصراع الإسرائيلي – الفلسطيني، خاصة بعد أن أنهى دراسة الدكتوراه في جامعة كولومبيا الأميركية. ولعل أهميته تكمن في أنه خلال الأحداث التي تراكمت في البلاد، منذ النكبة وحتى النكسة، عايش الأحداث وشارك فيها وكان قريبا جدا من قادة إسرائيل ودوائر صناعة القرار، وخاصة من شخصيات مثل مؤسس إسرائيل ورئيس حكومتها الأول، دافيد بن غوريون، ورئيس أركان الجيش ووزير الدفاع، موشيه ديّان، وخلفه في رئاسة أركان الجيش، إسحق رابين.

دولة واحدة للشعبين

بدأ بار أون حديثه بالتحدث عن مولده ونشأته وعائلته، وقال في مقابلة خاصة لـ "قضايا إسرائيلية":

مردخاي بار أون

"ولدت في تل أبيب، وبعد سنتين انتقلنا للسكن في ريشون لتسيون. هذه مدينة كبيرة اليوم، لكن حينذاك كانت بلدة صغيرة لم يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة. وكان الجميع يعرفون بعضهم. والداي ولدا في ألمانيا. ووالدتي ولدت ألمانية – كاثوليكية، وتهودت عندما تزوجت من والدي، وأصبح اسمها يهوديت. وقد قررا السفر إلى فلسطين، أو كما يقال، القدوم إلى أرض إسرائيل. وكان ذلك في العام ١٩٢١. وجاءا إلى هنا مع ابن واحد، عمره سنتان، واسمه يحزقيل، وهو اليوم مؤلف موسيقي مشهور جدا في البلاد. وهنا، في البلاد، ولد شقيقي بن، وبعد ذلك ولدت أنا، في العام ١٩٢٨. وقد ترعرعت في البلدة. وفي تلك الفترة كنا على اتصال دائم مع العرب، وذلك لأنه كانت هناك قرى عربية حول البلدة، وكانت تبعد مسافة يمكن قطعها سيرا على الأقدام. كانت قربنا قرى بيت دجن وصرفند العمار وصرفند الخراب وسفرية. وإضافة إلى ذلك كان يأتي الكثير من العرب إلى بلدتنا لكي يبيعوا الخضار، وحتى أنه كان هناك عرب يسكنون في البلدة، إذ كانوا يعملون فيها كمزارعين وفي الحظائر الكبيرة. أي أن العمال العرب عملوا وسكنوا في البلدة. وهكذا فإن الاتصال مع العرب كان يوميا، وقد تعلمنا التحدث بالعربية قليلا. وأنا لا أتحدث العربية بصورة جيدة، لكن يمكنني أن أجري محادثة قصيرة بالعربية.

"لدى بلوغي سن التاسعة أو العاشرة انضممت إلى حركة هشومير هتسعير. وكان نشاطنا في البداية، وكنا أطفالا، لا يتعدى ألعاب الأطفال وإنشاد الأناشيد الوطنية. وكانت هشومير

هتسعير حركة ذات رؤية ماركسية، وكانت مؤيدة للاتحاد السوفياتي طبعا. وكانت ترفع شعار 'أخوة الشعوب'. وفي وقت لاحق، في العام ١٩٤٦ أو ١٩٤٧، أعلنت هشومير هتسعير أنها تدعم فكرة الدولة الثنائية القومية. وهكذا كان الشعار: دولة للشعبين. وفي ذلك الوقت تعلمت في المدرسة الثانوية، والتحقت بالهاغانا، مثلما كان يفعل الجميع. وفي الواقع فإن عناصر الانتماء كانت تسير بشكل متواز على النحو التالي: الصهيونية والهاغانا، الولاء لبن غوريون، للمؤسسات، والتطلع نحو أخوة الشعوب. وكل هذا إلى جانب المواقف اليسارية من الناحيتين الاقتصادية والسياسية".

سؤال: لكن كان هناك تناقض من الناحية السياسية.

بار أون: "حتى العام ١٩٤٦ لم ترغب الحركة الصهيونية، باستثناء [زئيف] جابوتينسكي واليمين، في التصريح حول إقامة دولة. لقد تم التعتيم على هذا الأمر، لأنهم اعتقدوا أنه سينشأ كيان من نوع ما في إطار الامبراطورية البريطانية. وكانوا يعون حقيقة كوننا أقلية وليس أغلبية في البلاد. وكان التطلع نحو هجرة [يهودية] كبيرة وأن نصبح الأغلبية. وفي العام ١٩٤٦، عُقد مؤتمر بلتيمور، على اسم الفندق الذي عقد فيه المؤتمر في نيويورك، قررت الحركة الصهيونية إقامة دولة في البلاد. وعندها هاجمت هشومير هتسعير بشدة فكرة إقامة الدولة، لأنهم اعتقدوا أنه يجب تطوير الييشوف اليهودي من أجل أن يعمل بشكل ودي مع العرب، وأن تقام هنا دولة للشعبين في نهاية الأمر. وفي هذه السنوات تحول هشومير هتسعير من حركة إلى حزب. وكانت لدى هذا الحزب حركة شبيبة واتحاد الكيبوتسات القطري، الذي شكل حركة كبيرة. وأنا لم أرغب بالذهاب إلى الكيبوتس، لأني أردت دائما أن أدرس في الجامعة وأن أصبح باحثا. رغم ذلك عشت في كيبوتس لفترة لأني كنت أعيش حياة هشومير هتسعير. وفي هذه المرحلة، في العام ١٩٤٦، برز تناقض شديد للغاية بين بن غوريون والأغلبية في الحركة الصهيونية".

سؤال: "من كان زعيم "هشومير هتسعير" في هذه الفترة؟

بار أون: "الزعيم الأول كان مئير يعاري. ويليه يعقوب حزان من كيبوتس مِشمار هعيمق. وكان هناك قياديون آخرون، وقد كانوا مثقفين. وعموما كانت هذه الحركة الأكثر ثقافة. وعندما اندلعت الحرب لم يعد هذا الأمر [الدعوة إلى دولة للشعبين] مهما. لكن الآن، بعد ٦٥ عاما، عاد موضوع الدولة الثنائية القومية إلى النقاش العام. وهذه فكرة سيئة برأيي. وأعتقد أنه من الأسهل أن نحلم بدولتين للشعبين من الحلم بدولة واحدة للشعبين. وفكرة الدولتين عملية أكثر بكثير وقابلة للتحقق برأيي. فقد نتجت عن الحرب حالة صدام حقيقي. إما أنتم أو نحن. هكذا نظروا إلى الأمور. والعرب قالوا أيضا إنه لن تقوم دولة يهودية بأي شكل من الأشكال. وهناك من تحدثوا عن إلقاء اليهود في البحر، لكن كان بين العرب من قالوا لليهود أن يبقوا كأقلية قومية. وهذه الفكرة كانت النقيض لتطلعاتنا وجميع أحلامنا. إضافة إلى ذلك فإن الحرب كانت قد اندلعت".

حرب العام ١٩٤٨

سؤال: متى وافق حزب "هشومير هتسعير" على دولة لليهود؟

بار أون: "عندما صدر قرار التقسيم كانوا لا يزالون ضد تقسيم البلاد".

سؤال: لم يؤيدوا الموقف السوفياتي؟

بار أون: "لا. الحزب الشيوعي [الجناح] العربي بالذات كان إلى جانب الموقف السوفياتي الذي أيد التقسيم. وهشومير هتسعير كان ضد تقسيم البلاد. لكن مع قيام الدولة بات واضحا أن هذه حقيقة وأصبحوا مخلصين للدولة وقسم كبير من شبان هشومير هتسعير كانوا ضباطا في الجيش، وتعاونوا مع الدولة بشكل كامل. وهذا أمر حدث معي بشكل شخصي. فلدى صدور قرار التقسيم، في ٢٩ تشرين الثاني من العام ١٩٤٧، كنت في إطار عام الخدمة العسكرية. فقد كان متبعا في الييشوف اليهودي أن يتجند الشاب لمدة سنتين بعد أن ينهي المدرسة الثانوية. وتجند قسم كبير للبلماح. ومن لم يتجند للبلماح تجند لفرقة الحراس. إذ أن الانتداب البريطاني أقام هنا قوة باسم 'شرطة البلدات العبرية'. وأعطوهم السلاح وسيارات بيك – أب وتعين عليهم التواجد في البلدات اليهودية خلال التمرد والوقوف ضد هجمات العرب [في ثورة العام ١٩٣٦]. وأقام البريطانيون شرطة الحدود، وتجند إليها العرب. وتمرد العرب في العام ١٩٣٦ كان ضد البريطانيين. لقد حارب الفلسطينيون ضد البريطانيين. هذا هو الأمر الأساس في التمرد، ولم يكن ضد اليهود. وعندها تم التحالف بين البريطانيين والييشوف اليهودي وأقيمت شرطة البلدات اليهودية هذه. وأطلقوا عليهم اسم 'الحراس' وكانوا شبيهين بالجنود وارتدوا الزي العسكري للجيش البريطاني. وكان قائدهم ضابط شرطة بريطاني، لكن هذا التنظيم كان تابعا للهاغانا. وأنا تلقيت أوامر من قائد الهاغانا، والضابط البريطاني كان يدفع الرواتب. وكنت قائد وحدة برتبة سارجنت [رقيب]. وفي صباح اليوم التالي لصدور

وخلال شهري شباط وآذار (١٩٤٨) حقق الفلسطينيون بالأساس نجاحات عسكرية. لكن لم يتم احتلال بلدات لا في جانبنا ولا في جانبهم. وقد عانينا من صعاب. وأعكف حاليا على تأليف كتاب حول حرب الاستقلال، وأحاول من خلاله تفسير عدة ظواهر من هذا النوع. فقد كنا أقوى ولدينا ستة أو سبعة ألوية عسكرية ورغم ذلك خسرنا، حتى بداية نيسان

قرار التقسيم، وبعد أن رقصنا حتى الفجر، توجهت مع شخص آخر إلى مركز الشرطة وأخذنا بنادق وصعدنا أول حافلة متوجهة إلى تل أبيب، ومررنا قرب قريتي يازور وبيت دجن. وأطلقوا النار علينا في يازور. لم يصب أحد، لكن هذا كان مؤشرا بالنسبة لي. وبعدها اندلعت الحرب. وتم إطلاق النار على حافلة قرب بلدة يهود [قرية العباسية المهجرة]. وقُتل يهودي واحد في هذه الحافلة. وبعد ذلك قُتل يهودي آخر قرب يافا. وبدأت الحرب في هذه المرحلة. وفي شهر شباط [١٩٤٨] تم إرسالي إلى دورة ضباط لقادة فصائل. ويسود الاعتقاد أن هذه الدورة، التي أشرف عليها حاييم لاسكوف، الذي أصبح رئيسا لأركان الجيش الإسرائيلي لاحقا، هي دورة ضباط نظمها الجيش الإسرائيلي، لكن في الحقيقة كانت هذه آخر دورة نظمتها الهاغانا، لأنه في ذلك الحين لم يكن الجيش الإسرائيلي قد تأسس. فقد انتهت الدورة في نيسان، بينما الدولة والجيش تأسسا في أيار. وحدث هذا خلال الحرب، التي أخذت تتصاعد. وخلال شهري شباط وآذار حقق الفلسطينيون بالأساس نجاحات عسكرية. لكن لم يتم احتلال بلدات لا في جانبنا ولا في جانبهم. وقد عانينا من صعاب. وأعكف حاليا على تأليف كتاب حول حرب الاستقلال، وأحاول من خلاله تفسير عدة ظواهر من هذا النوع. فقد كنا أقوى ولدينا ستة أو سبعة ألوية عسكرية ورغم ذلك خسرنا، حتى بداية نيسان".

سؤال: لماذا؟

بار أون: "السبب الأساس هو أنه في هذه المرحلة كانوا لا يزالون يؤمنون في الحركة الصهيونية أن بالإمكان تطبيق قرار التقسيم. أي أنه رغم نشوب الحرب والمعارك دائرة، إلا أن الأمم أرادت تطبيق القرار، ولم تكن لدينا مبادرات لاحتلال مناطق. وصحيح أنه كانت هناك عمليات انتقامية [ضد الفلسطينيين] وقد شاركت شخصيا فيها. والسبب الثاني هو أن البريطانيين كانوا ما زالوا موجودين هنا وبقوة كبيرة ولم يسمحوا باحتلال مناطق. والمعارك كانت عبارة عن هجمات ضد قوافل والانسحاب إلى الجبال. وكان للفلسطينيين أفضلية أكبر في هذه المعارك. وقد كان علينا أن نحتل قرى عربية من أجل فتح الطريق إلى القدس، مثلا، وكان العرب يطلقون النار علينا هناك. ولكن لم يسمح البريطانيون لنا، في هذه المرحلة، باحتلال قرى ومناطق عربية. والعرب لم ينجحوا في احتلال مواقع يهودية. وفي هذه الفترة وصل جيش الإنقاذ إلى البلاد، بقيادة فوزي القاوقجي. وكان قائد القوات العربية في منطقة الجليل أديب الشيشكلي، الذي أصبح بعد ذلك رئيسا لسورية. وكان هناك ضابط عراقي مع قوة مسلحة في منطقة كيبوتس طيرات تسفي [جنوب بيسان]. ووقعت عدة هجمات عربية لاحتلال مواقع يهودية. وقد تدخل البريطانيون لصالح اليهود في هذه المعارك. ولذلك لم يحتل أي طرف أماكن الطرف الآخر. وكانت نقطة الانعطاف في معركة القسطل. ونحن نتحدث عن عملية 'نحشون' العسكرية، التي تم خلالها حشد قوة بحجم لواء، وفي الوقت نفسه وصل السلاح من تشيكوسلوفاكيا وسلحوا هذا اللواء بسلاح عصري. وكان هدف العملية العسكرية السيطرة على الطريق المؤدية إلى القدس. ودارت المعارك في الطريق نفسها واحتلت الهاغانا القسطل. وتبين لي أن البريطانيين سمحوا لنا بالبقاء هناك بعد أن احتللنا القسطل، ولم يطلبوا أن ننسحب. وكانت هناك قرية أخرى قرب كيبوتس خولدا [قرب قرية خُلدة الفلسطينية]، واسمها دير محيسن، وبعد أن احتللناها طلب البريطانيون أن ننسحب منها، لأنها كانت على طريق انسحاب قواتهم من البلاد، ولم يرغب البريطانيون في أن يسيطر أحد على هذا المحور. بينما الطريق إلى القدس لم تعد تهمهم في تلك المرحلة، ولذلك وافقوا على أن نستولي على القسطل. وفي هذه المعركة دارت المعركة المعروفة، التي قادها في الجانب الفلسطيني عبد القادر الحسيني. وفي هذه المرحلة أقامت الهاغانا ٩ ألوية مسلحة بأسلحة تشيكوسلوفاكية. بينما بالكاد كان هناك لواءان لدى القاوقجي ويضمان ٦ كتائب".

وتبين لي أن البريطانيين سمحوا لنا بالبقاء هناك بعد أن احتللنا القسطل، ولم يطلبوا أن ننسحب. وكانت هناك قرية أخرى قرب كيبوتس خولدا [قرب قرية خُلدة الفلسطينية]، واسمها دير محيسن، وبعد أن احتللناها طلب البريطانيون أن ننسحب منها، لأنها كانت على طريق انسحاب قواتهم من البلاد، ولم يرغب البريطانيون في أن يسيطر أحد على هذا المحور. بينما الطريق إلى القدس لم تعد تهمهم في تلك المرحلة، ولذلك وافقوا على أن نستولي على القسطل. وفي هذه المعركة دارت المعركة المعروفة، التي قادها في الجانب الفلسطيني عبد القادر الحسيني. وفي هذه المرحلة أقامت الهاغانا ٩ ألوية مسلحة بأسلحة تشيكوسلوفاكية. بينما بالكاد كان هناك لواءان لدى القاوقجي ويضمان ٦ كتائب"

سؤال: التشيك أعطوكم أسلحة...

بار أون: "أسلحة ناجعة وحديثة. وكانت لدى قوات القاوقجي أسلحة قديمة نوعا ما".

سؤال: هل أعطاكم التشيك طائرات؟

بار أون: "لم تكن لدينا حينذاك طائرات مقاتلة، وإنما طائرات للقيام بدوريات. لم تكن هناك إمكانية حينها لاستخدام طائرات هجومية. ربما كان بالإمكان إلقاء قنبلة يدوية من طائرات كهذه، وقد حصلنا عليها من التشيك أيضا. ولكن بالنسبة لتوازن القوى في هذه المرحلة، فإنه مقابل ٩ ألوية لدينا، كان لدى القاوقجي لواءان ولدى جيش الإنقاذ كتيبة في اللد. وكان لدى عبد القادر [الحسيني] قوة توازي كتيبة. ولكن كان لدى اليهود ٢٥ كتيبة. وكانت لديهم قوة كبيرة، ولذلك ليس عجيبا أن الهاغانا حققت نجاحات كبيرة في هذه المرحلة. فقد احتلت حيفا وصفد وطبريا. وفي هذه المرحلة أنهيت دورة الضباط، وشاركت شخصيا في المعارك في هذه المنطقة. وقد شاركت في احتلال قرية زرنوقة قرب رحوفوت".

تهجير الفلسطينيين

سؤال: شاركت في احتلال وطرد السكان الفلسطينيين؟

بار أون: "أنظر. إن رأيي كمؤرخ..."

سؤال: أنت شاهد عيان على ما حدث أيضا ولست مؤرخا فقط.

بار أون: "لقد اشتركت في احتلال سبع أو ثماني قرى خلال الحرب. وفي جميعها لم يكن هناك سكان عندما وصلت إلى القرية. ربما كانت هناك عجوز لم تكن تقوى على التحرك. لكن السكان خرجوا بعد القصف الأول على القرية. ولم يغادروا إلى مكان بعيد. لكن لأننا احتللنا القرية فإنه لم يعد بإمكانهم العودة إليها. وعلى أثر ذلك هربوا. وبإمكاني أن أثبت لك أنه لم نطرد السكان في المعارك التي شاركت فيها. لكن هذا ليس قولا صحيحا لأن الحرب من أجل إقامة الدولة أدت إلى قضية لاجئين. وليس مهما كيف تصيغ ذلك. في البداية هربوا [الفلسطينيون] من أماكن كثيرة. وعندما لم يهربوا ساعدوهم [القوات اليهودية] على الهرب. وفي النهاية لم ينتظروا امتناعهم عن الهروب وقاموا بطردهم حقا. إذن كانت هذه عملية متدحرجة. لكن حكمي الأخلاقي يقول إن دولة إسرائيل تتحمل المسؤولية عن نشوء قضية اللجوء. واليوم أنا أقول إنه لا ينبغي إعادتهم. وكنت أريد أن نبحث عن حلول أخرى. لكن هكذا كان الوضع في حرب الاستقلال وهذه هي الصورة. وفي غالبية الأماكن خاف القرويون من الحرب ونزحوا، وعندما لم يتم السماح لهم بالعودة واصلوا طريقهم نحو الشتات. هذه هي الصورة تقريبا.

"وفي غضون ذلك أصبحت ضابطا شابا في الجبهة الجنوبية. ومثلما حدث لضباط كثيرين وأنا لم أكن الوحيد، وكنت حينها في العشرين من عمري، تم تعييني قائدا لسريتي. كنت حينها قائد وحدة عدد جنودها يقارب الثلاثين جنديا، والسرية تضم ثلاث وحدات ونحو مئة جندي. وأصبحت قائد السرية بعد أن تم نقل قائدها إلى مواقع أخرى، لأنه لم يكن لدينا عدد كاف من الضباط. فالجيش كبر بسرعة ولم يتوفر عدد كاف من الضباط. وقد تم تعييني في البداية نائبا لقائد السرية، الذي اصيب

يقول حكمي الأخلاقي إن دولة إسرائيل تتحمل المسؤولية عن نشوء قضية اللجوء. واليوم أنا أقول إنه لا ينبغي إعادتهم. وكنت أريد أن نبحث عن حلول أخرى. لكن هكذا كان الوضع في حرب الاستقلال وهذه هي الصورة. وفي غالبية الأماكن خاف القرويون من الحرب ونزحوا، وعندما لم يتم السماح لهم بالعودة واصلوا طريقهم نحو الشتات. هذه هي الصورة تقريبا.

بجروح خلال عملية "يوءاف" العسكرية، وعلى أثر ذلك تم تعييني قائدا للسرية، وأنا في العشرين من عمري. وأنهيت الحرب كقائد سرية. وشاركت في المعارك ضد المصريين في الجبهة الجنوبية. وكقائد لوحدة عسكرية كنت أنظر كثيرا إلى الخرائط، وأسماء القرى العربية ما زالت حية لدي حتى هذا اليوم. لكن هذه القرى غير موجودة اليوم ولا أحد يعرف أين كانت موجودة، وإنما يوجد هنا وهناك حرج زرعوه على خرائب القرية".

سؤال: إسرائيل هدمت معظم القرى العربية المهجرة وزرعت أحراج مكانها. لماذا؟

بار أون: "القرار الأساس الذي صنع حالة اللجوء هو عدم السماح للنازحين الفلسطينيين بالعودة. كان يمكن أن تنشب الحرب، وبعدها يتم التوصل إلى سلام وعندها يعود النازحون. ففي جميع الحروب هرب المدنيون وعادوا بعد انتهائها. لكن هنا، بعد الحرب وبسبب الوضع الناشئ لم يصنع العرب السلام وإنما وقعوا على اتفاق وقف إطلاق نار. وكان القرار [الإسرائيلي] أنه لن يُسمح للعرب بالعودة. وهذا، عمليا، هو ما بلور الوضع. وأصبحنا نحن المتواجدين في هذه القرى المهجورة. وهناك فرق بين القرى في الجبال والقرى في السهل. فهذه الأخيرة كانت بيوتها مبنية من الطين. وبعد شتوة واثنتين أو ثلاث، ولأن الأفاعي كانت تعشش بين النباتات، تقرر إحضار بلدوزر وتنظيف المنطقة. وهذا ليس القرار الأهم، لأنه تقرر قبل ذلك عدم السماح [للاجئين] بالعودة. ولم تكن هذه البيوت لتسمح بإسكان المهاجرين اليهود الجدد فيها. وقد كان الفلاحون الفلسطينيون فقراء جدا".

سؤال: لكن كانت هناك قرى مبنية بيوتها من الحجارة وهدموها أيضا.

بار أون: "في القرى الجبلية والمدن الكبرى كانت البيوت مبنية من الحجارة. ولذلك فإنه في هذه الأماكن لم يتم هدم البيوت وإنما أسكنوا فيها أولئك اليهود، المهاجرين الجدد. وحدث هذا في الرملة وفي قرى أخرى صغيرة، بينها القسطل. المهاجرون اليهود سكنوا في بيوت عربية. لكن مع مرور السنين تم تشييد مبان جديدة وغادروا البيوت القديمة. ومثال على ذلك قرية زكريا، حيث يوجد هناك مسجد ما زال قائما حتى اليوم وخسارة أن لا يتم الاعتناء به. وهكذا حدث في مدن أخرى، وخاصة المدن التي لا يزال يسكن فيها اليهود في بيوت عربية مبنية من الحجر، مثل هذا البيت الذي أسكن فيه.

"بعد الحرب فكرت في دراسة الفنون. وكانت زوجتي تدرس في كلية إعداد المعلمين في تل أبيب. لذلك قررت البقاء في الجيش لسنة أو سنتين من أجل تمويل تعليمها. وخططنا أنه بعد أن تنهي زوجتي دراستها ستعمل معلمة وأنا أبدأ دراستي وهي تعيلني. لكن الجيش اقترح عندها أن يرسلني إلى الجامعة، مقابل التزامي بالتوقيع على اتفاق يقضي بأن أبقى في الجيش لمدة سنتين مقابل كل سنة دراسية أقضيها في الجامعة. وهكذا حصلت على شهادة البكالوريا . أنهيت الدراسة خلال عامين والتزمت بأن أبقى في الجيش أربع سنوات. وفي هذه الاثناء ترقيت وحصلت على رتبة مقدم. بعدها تدحرجت في المناصب العسكرية التي كانت مثيرة للغاية، والمنصب الأساس والأهم الذي توليته كان في العامين ١٩٥٦ – ١٩٥٧، عندما تم تعييني مديرا لمكتب رئيس أركان الجيش، موشيه ديّان".

العدوان الثلاثي ضد مصر

سؤال: كيف تم تعيينك في هذا المنصب الحساس؟

بار أون: "لقد حدث هذا بالصدفة. في هذه المرحلة كنت أحمل شهادة بكالوريا من الجامعة، وبتفوق أيضا. وكنت معروفا في الجيش كشخص متعلم ومثقف. واعتبرت في حينه ضابطا جيدا، أي كانت لدي سمعة إيجابية. وكان مدير مكتب ديّان، في العام ١٩٥٥، إيلي زاعيرا، الذي أصبح لاحقا ولدى اندلاع حرب العام ١٩٧٣ رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية وتم

إقصاؤه في أعقاب تقرير 'لجنة أغرانات' التي حققت في إخفاقات الحرب. وكان زاعيرا قد طلب من ديّان أن يحرره من إدارة مكتبه لأنه يريد أن يصبح قائد كتيبة، والتقدم في سلم المراتب العسكرية. وأنا لم أكن مهتما في أمور كهذه. وطلب ديّان منه أن يجد شخصا يحل مكانه، وطرح اسمي. والحقيقة أني لم أكن أعرف ديّان بشكل شخصي. وقد جئت إلى مكتبه وبدأت أعمل مباشرة. وتعينت في هذه الوظيفة في كانون الثاني العام ١٩٥٦ وحتى تموز ١٩٥٧".

سؤال: هل حضرت جميع المداولات التي سبقت العدوان الثلاثي ضد مصر في العام ١٩٥٦؟

بار أون: "لم أكن حاضرا في جميعها وحسب. فأحد الأمور التي نفذتها حينذاك، في منصبي كمدير لمكتب رئيس الاركان، كان تدوين يوميات، أسجل فيها كل ما يحدث وبشكل يومي. في الساعة كذا بدأت جلسة مع قائد سلاح الجو، وبعد ذلك ذهبنا لزيارة أريك [أريئيل] شارون... وهكذا. تم تدوين كل شيء. وكنت أكتب هذه اليوميات لمدة ساعة أو أكثر يوميا، بعد انتهاء الدوام. وقد صدرت هذه اليوميات في ثمانية مجلدات. وهذا لم يكن عملي الأساس، فعملي الأساس كان إدارة المكتب. ولكن من أجل تدوين اليوميات، اهتممت بأن أرافق ديّان طوال الوقت. وفي أحيان متباعدة كان يتهرب مني ولم أكن أعرف أين هو. ربما كان يلتقي بعشيقته. وقد نشرت قبل شهرين كتاب السيرة الذاتية لموشيه ديّان باللغة الانكليزية في أميركا وصدر عن جامعة ييل. فإذن، رافقته طوال الوقت، وعلى مدار ١٨ ساعة في اليوم. وقد أراد ديّان تدوين هذه اليوميات وكان يعرف أنني أكتب بشكل جيد. وهو أراد أن يكون هناك توثيق لأعماله وخطواته. ولذلك فإنه عندما سافرنا إلى المحادثات السرية في باريس، من خلال وفدين، واحد برئاسة غولدا مئير والثاني برئاسة بن غوريون، كنت سكرتيرا للوفدين. وكنت الوحيد الذي كتب محاضر هذه الجلسات. فقد كان الفرنسيون والبريطانيون يخافون من ظلهم. ولم تكن أجهزة التسجيل موجودة في ذلك الحين. ولذلك لا يوجد توثيق لهذه الاجتماعات وما دار خلالها سوى ما دونته أنا. وبعد ذلك كتبت رسالة الدكتوراه حول هذا الموضوع، وتم إجراء أبحاث حولها".

سؤال: ما هي أسباب هذا العدوان الثلاثي من ناحية إسرائيل؟

بار أون: "هذا أمر معقد وقد ألفت كتبا كاملة حول هذا الموضوع. سأشرح الأسباب من وجهة النظر الإسرائيلية. كان

بعد أن هزمت مصر قوات إسرائيل
بريطانيا وفرنسا تقرران
الهجوم على مصر
إنذار إلى مصر ينتهي الساعة السادسة صباح اليوم
الدولتان تطلبان احتلال بورسعيد والإسماعيلية والسويس
الجيش المصري يطهر سيناء من قوات اسرائيل
اسقاط ٧ طائرات وتدمير ١٢ مصفحة للعدو

هناك توتر تصاحبه صدامات مسلحة دائمة عند الحدود، على مدار سنتين قبل الحرب. كان الفدائيون الفلسطينيون يشنون هجمات مسلحة، وكان يتسلل فلسطينيون للسرقة من البلدات الزراعية والكيبوتسات في الجانب الإسرائيلي. وربما سمح المصريون وربما لم يسمحوا بذلك. وردت إسرائيل من خلال العمليات العسكرية الانتقامية. وقد اعتقد ديّان منذ البداية، أي منذ تعيينه رئيسا لأركان الجيش، أنه لا ينبغي إلقاء غزة بأيدي المصريين. وعندما أغلق [الرئيس المصري جمال] عبد الناصر مضائق تيران، رأى ديّان أنه يجب أن نستولي على المنطقة الواقعة بين قطاع غزة وشرم الشيخ. وكانت هذه أهداف استراتيجية في تفكيره منذ البداية. كذلك فإن المصريين نشروا دبابات في بيت حانون [في شمال قطاع غزة]. وكانت هذه القوات المصرية تبعد ٧٠ كيلومترا عن تل أبيب بخط هوائي. وكان الاعتقاد لدينا أنه في حال قرر المصريون شن هجوم ضد إسرائيل بالدبابات فإنهم سيجدون شابين يعملان في بيارة، أي أنه ليس هناك من يدافع عن حدودنا، رغم وجود كيبوتسات في الطريق. وقد كانت الكيبوتسات ناجعة في حرب العام ١٩٤٨، لكن الآن، مع وجود دبابات كهذه بأيدي المصريين، وهي من صنع سوفياتي، فإن الأمور لن تسير بشكل جيد. كذلك فإن الجيش الإسرائيلي لا يمكنه أن يكون على أهبة الاستعداد طوال الوقت، حتى بوجود دبابات بحوزته. لهذا فإنه كانت تسود في إسرائيل أجواء توتر وشعور بالحصار".

سؤال: هل كانت هناك نية لدى إسرائيل لاحتلال سيناء؟

بار أون: "لا. تطلعات ديان كانت إقامة منطقة أمنية في منطقة رفح واحتلال شرم الشيخ. وقد نجح الجيش في إنشاء محور حركة يربط بين رفح وبين البحر الأحمر وشرم الشيخ. وهذا كان الهدف".

وكانت حالات في ذلك الحين، تعرضنا فيها لتهديد بريطاني بمهاجمة إسرائيل إذا هاجمت إسرائيل الأردن، مثلا. واليوم، بعد الاطلاع على وثائق تم الكشف عنها حديثا، يتبين أن البريطانيين وضعوا خططا عسكرية لمهاجمة إسرائيل من الجو بالأساس، إذا هاجمت إسرائيل الأردن. لهذا رفض بن غوريون إمكانية أن تبادر إسرائيل إلى شن حرب ضد مصر

سؤال: "هناك مقولة مشهورة لديّان حول احتلال إسرائيل لشرم الشيخ، وهي أن "شرم الشيخ من دون سلام أفضل من سلام بدون شرم الشيخ"...

بار أون: "هذه مقولة قيلت خلال حرب العام ١٩٧٣. لكن بإمكانك أن تقول إنه منذ ذلك الحين كان ديّان يفكر بأن شرم الشيخ مهمة جدا. ولم يعتقد بن غوريون أنه بالإمكان، هكذا من دون سبب، شن حرب. فالعالم لن يسمح لنا بذلك. وكانت حالات في ذلك الحين، تعرضنا فيها لتهديد بريطاني بمهاجمة إسرائيل إذا هاجمت إسرائيل الأردن، مثلا. واليوم، بعد الاطلاع على وثائق تم الكشف عنها حديثا، يتبين أن البريطانيين وضعوا خططا عسكرية لمهاجمة إسرائيل من الجو بالأساس، إذا هاجمت إسرائيل الأردن. لهذا رفض بن غوريون إمكانية أن تبادر إسرائيل إلى شن حرب ضد مصر. وفي هذه الأثناء كان السؤال المطروح هو كيف سنحصل على سلاح يحقق توازنا مع صفقة السلاح التشيكية – المصرية، أي الأسلحة التي حصلت عليها مصر بشكل مفاجئ. فقد حصل المصريون مرة واحدة على مئات الدبابات الحديثة والطائرات الحديثة والتي لم يكن بحوزتنا رد عليها. فإذن كان لدينا هدف بالحصول على دبابات حديثة. والمكان الوحيد الذي يمكننا أن نحصل منه على أسلحة حديثة هو فرنسا. وقد حصلنا على طائرات مقاتلة ودبابات حديثة، مع مدفع، من فرنسا. وقد حصل المصريون على دبابات من طراز "تي–٣٤"، واليوم يوجد "تي–٨٢". ولقد أردنا الاتفاق على صفقة أسلحة مع فرنسا. وعُقدت جلسة واحدة لم أشارك فيها. فقد سافر بن غوريون مع [شمعون] بيريس و[يهوشفاط] هَركافي، الذي كان رئيس الاستخبارات العسكرية، وتوصلوا إلى اتفاق مع الفرنسيين، وحصلنا بموجبه على مئات الدبابات وعشرات الطائرات المقاتلة. وكان من شأن هذه الصفقة أن تشكل توازنا مقابل الأسلحة الحديثة التي بحوزة مصر. وفي مقابل ذلك، نحن تعاونا مع فرنسا في المجال المخابراتي. وحتى أنه تم الحديث بيننا وبين الفرنسيين، وهذا لم يطبق أبدا، على أن تنفذ إسرائيل عمليات ضد الثوار الجزائريين. أي أن نرسل السرية ١٣ [أي الكوماندوز البحري الإسرائيلي] لمساعدة الفرنسيين في عمليات من هذا النوع. ولم يتم تنفيذ هذا أبدا، لأنه بعد ذلك بشهر واحد أعلن عبد الناصر عن تأميم قناة السويس. ولم تكن لدينا مشكلة مع هذا الإعلان، فالقناة كانت مغلقة أمامنا، وليس أمام السفن الإسرائيلية فقط وإنما أمام السفن المتوجهة إلى إسرائيل أيضا.

"ولم ترغب بريطانيا، في البداية، في أن تزج فرنسا بإسرائيل في الموضوع. لأنه كانت لدى البريطانيين علاقات في الشرق الأوسط، مع إيران والأردن خاصة. وكانت لديهم مصالح كثيرة في الشرق الأوسط ولم يرغبوا في أن يظهروا كمن يستعينون بإسرائيل. وبن غوريون، من جهته، لم يرد التورط مع الأميركيين، وبحث عن طريقة لإجراء محادثات سرية مع فرنسا في باريس. وتم الاتفاق في هذه المحادثات السرية على أن تبدأ إسرائيل الحرب ضد مصر، وبعد ذلك يدخل الفرنسيون والبريطانيون إلى قناة السويس من أجل الفصل بين الجانبين. وفي هذه المرحلة جرت مداولات في إسرائيل حول ما إذا نوافق على هذه الخطة أم لا. وقد تردد بن غوريون كثيرا. والسبب أنه قرر المشاركة في الحرب هو أنه على ما يبدو شعر بأنه مدين، لأن فرنسا تسلحنا الآن وهذا أمر سيغير وضعنا الاستراتيجي. ليس أنه لم يشأ مهاجمة عبد الناصر، فقد كانت هناك أسباب كافية للقيام بذلك، ولكن لم يكن لديه هدف باحتلال سيناء، علما أنه في نهاية الحرب انجرف بن غوريون وأخذ يفكر بجبل سيناء وبخطابات كبيرة [بعد أن احتل الجيش الإسرائيلي سيناء]. وقد استغرقه يومين حتى أدرك أن هذا الأمر لن ينجح. وكان الهدف الانسحاب من سيناء، ولكن ليس الانسحاب من المنطقة التي أرادها ديّان. لكن حتى هذا لم يتم، لأن الأميركيين والروس مارسوا ضغوطا هائلة وأعدنا كل سيناء حتى آخر متر".

سؤال: هل جرت مداولات بين إسرائيل وفرنسا، في هذه الفترة، حول بناء مفاعل نووي في إسرائيل؟

أردنا الاتفاق على صفقة أسلحة مع فرنسا. وعُقدت جلسة واحدة لم أشارك فيها. فقد سافر بن غوريون مع [شمعون] بيريس و[يهوشفاط] هَركافي، الذي كان رئيس الاستخبارات العسكرية، وتوصلوا إلى اتفاق مع الفرنسيين، وحصلنا بموجبه على مئات الدبابات وعشرات الطائرات المقاتلة. وكان من شأن هذه الصفقة أن تشكل توازنا مقابل الأسلحة الحديثة التي بحوزة مصر. وفي مقابل ذلك، نحن تعاونا مع فرنسا في المجال المخابراتي. وحتى أنه تم الحديث بيننا وبين الفرنسيين، وهذا لم يطبق أبدا، على أن تنفذ إسرائيل عمليات ضد الثوار الجزائريين

بار أون: "كانت هناك اتصالات بهذا الخصوص منذ العام ١٩٥٢. فقد طورت إسرائيل هنا مشروعا لإنتاج المياه الثقيلة، وهذه إحدى الطرق لصنع قنبلة ذرية. وكانت المياه الثقيلة التي تبيعها النرويج أغلى بسبعين مرة من مياهنا الثقيلة. والعلاقات الذرية بيننا وبين فرنسا كانت تتعلق بتطوير هذه المياه الثقيلة. وبعد ذلك توجهوا إلى تطوير ذري بطرق أخرى. ولكن أقمنا هذا الاتصال منذ ذلك الحين. وقد تطور هذا الاتصال وتحدثنا عن أن تزودنا فرنسا بمفاعل نووي. وقد زودوا مفاعلا لأغراض علمية وتمت إقامته في عين شوريك، قرب النبي روبين. لكن في إسرائيل أرادوا مفاعلا، في المستقبل البعيد، من أجل صنع قنبلة نووية. وقد تم الاتفاق بهذا الخصوص بين اللجان العلمية للجانبين، وكان يجب انتظار موافقة المستوى السياسي الفرنسي. ولدى اتخاذ القرار بشأن عملية سيناء [أي العدوان الثلاثي ضد مصر]، أعطى رئيس الوزراء الفرنسي [جي موليه] إسرائيل موافقة مبدئية بتزويدها بالخبرات ومساعدة المهندسين من أجل إقامة مفاعل ديمونا. وتم البدء في العمل بعد ذلك بسنتين، في العام ١٩٥٨".

"حرب الأيام الستة"

سؤال: ماذا فعلت بعد أن أنهيت عملك كمدير لمكتب رئيس هيئة أركان الجيش ديّان؟

بار أون: "بعد ذلك، في العام ١٩٥٨، سافرت للدراسة في جامعة كولومبيا في نيويورك. وقد خرجت لإجازة من دون مرتب من الجيش. ودرست موضوع العلاقات الدولية وحصلت على شهادة الماجستير. وعندما عدت إلى البلاد تم تعييني ضابط التربية والتعليم الرئيس للجيش الإسرائيلي. وبقيت في هذا المنصب سبع سنوات، بعدها تسرحت من الجيش في العام ١٩٦٨، وكان عمري ٤٠ عاما. وبعدها تم تعييني عضوا في الهيئة الإدارية للصهيونية العالمية".

سؤال: ماذا كانت مهماتك كضابط التربية والتعليم الرئيس في الجيش؟

بار أون: "ربما ما يهم الجمهور الذي تكتب له هو أنني كضابط التربية والتعليم الرئيس، وكان رئيس أركان الجيش حينذاك إسحق رابين، كنت مسؤولا عن الإرشاد السياسي في الجيش، وعن ثقافة الترفيه أيضا، وعن التعليم والتثقيف. وفيما يتعلق بالتعليم والتثقيف، قررنا في حينه أن يكون الحديث في الجيش باللغة العبرية فقط. كذلك رفعنا مستوى تعليم الجنود. وقد أقمنا مدارس للجنود، لأن قسما منهم وصل إلى الجيش من دون تعليم. وفي البداية رفعنا مستواهم إلى مستوى المدرسة الابتدائية وبعد ذلك إلى مستوى سنتين في المدرسة الثانوية. من جهة ثانية، كان هناك مشروع خاص اعتنى بالأفلام والجوقات العسكرية. وكان هناك جانب اعتنى بالإرشاد السياسي، وكان هذا، عمليا، تربية سياسية. ومهمتنا في التربية السياسية هي أن نشرح للجنود لماذا الحرب التي قد تنشب ستكون مبررة من ناحيتنا. وكنا نشرح للجنود عن الوضع العام والصراع وكيف تطورت الأمور. باختصار هذا ساهم في الوعي الصهيوني والعسكري للجندي. وكنا نشرح الأسباب التي تلزمه بالخدمة العسكرية ولماذا على الجندي أن يخدم بشجاعة، وأنه في حال نشوب حرب فإنه قد يقتل خلالها. كان هذا المشروع يبدأ بالصهيونية وتاريخ الصهيونية وجوهر الصراع، وكل هذا من وجهة نظرنا طبعا. كذلك عملنا بشكل واسع جدا في موضوع العقوبات المفروضة على الجنود. عملنا على تربية الضباط بالامتناع عن إذلال وإهانة الجنود. وقد كان هذا جانبا أخلاقيا داخل حياة الجيش. ولكننا ربينا الجنود على احتمال التوصل إلى سلام

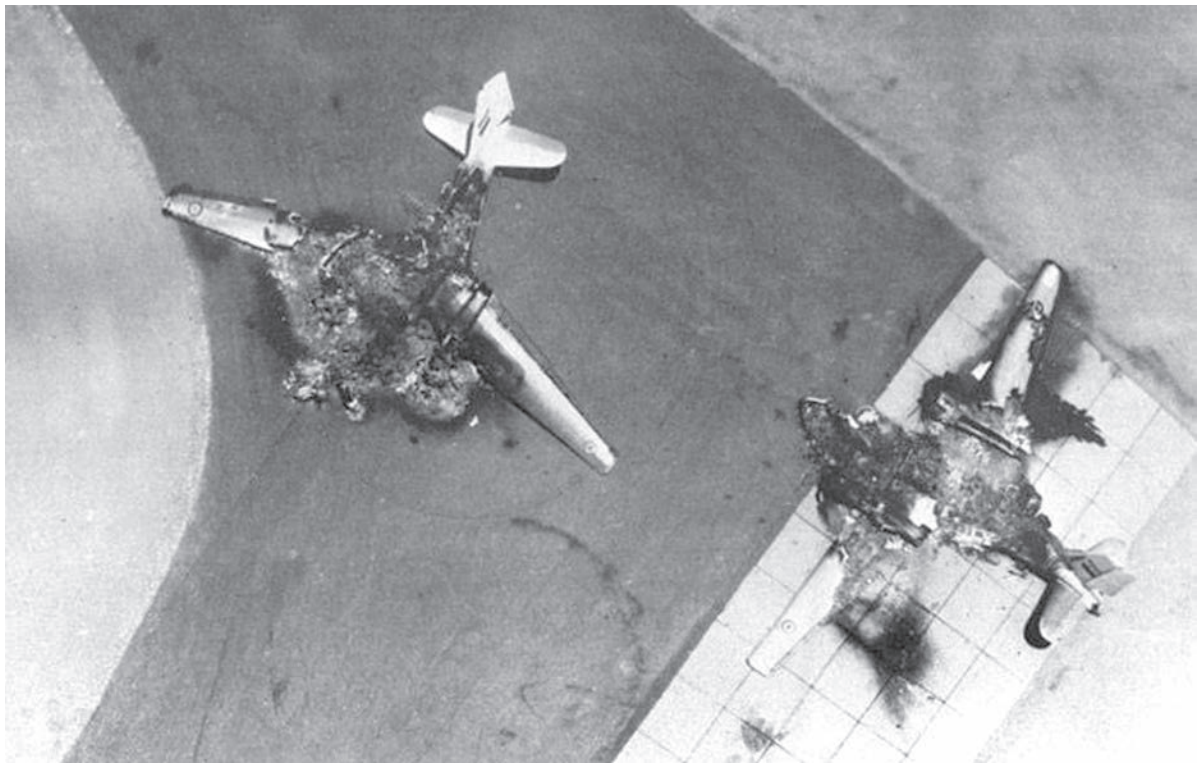

سلاح الجو المصري: الضربة القاصمة.

مع العرب أيضا. وكنا نقول للجنود إنه سيحل السلام في نهاية الأمر، وأننا نتطلع إلى السلام، وأننا الجانب الذي يتعرض للهجوم ورغم ذلك نريد السلام. وفي العام ١٩٦٥ تم إلغاء الحكم العسكري على العرب في البلاد. ولهذا فإن الكراهية للعدو ليست جيدة في المستقبل البعيد ولا في المستقبل القريب، لأنها لا تنمي جنديا شجاعا. وكان الجندي الإسرائيلي يعي أن عليه أن يحارب. لكن كراهية العدو لا تقوي الجندي وإنما تخيفه. وكانت هناك صراعات داخل الجيش من أجل منع هذا الأمر. وعندما وقعت حادثة [مجزرة] كفر قاسم، حكم القاضي على قائد الكتيبة، جبريئيل داهان، وكتب في قرار الحكم أنه عندما يرى الجندي أن الأمر العسكري الذي تلقاه ليس قانونيا بكل تأكيد وراية سوداء فوقها، مثل أن يصدر أمر بقتل طفل، وواضح أنه ليس ثمة ما يبرر قتل طفل، ففي حالة كهذه الجندي ملزم برفض تنفيذ الأمر العسكري. وقد أخذنا قرار الحكم هذا ووزعناه على الجنود، كي يعرفوا أنه يوجد وضع ينبغي فيه رفض تنفيذ أمر عسكري".

سؤال: كيف تنظر إلى حرب الأيام الستة، في العام ١٩٦٧، من ناحية الأسباب والنتائج؟

بار أون: "ينبغي أن نتذكر طوال الوقت أنني مؤرخ، وقد ألفت كتبا بعد الحرب أيضا".

سؤال: أنت تعرف الأشخاص، أي القادة الإسرائيليين، الذين كانوا موجودين في هذه الفترة. وهذا يعني أنك كنت شاهد عيان أيضا، وليس مؤرخا من بعيد فقط.

بار أون: "نعم، نعم. لكني سأقول إن الهجوم الإسرائيلي– إذ أن إسرائيل هي التي هاجمت أولا– في هذه المرحلة، لم يكن بالإمكان منعه. وقد ارتكب عبد الناصر خطأ فادحا لأنه لم يدرك أن إسرائيل لن تتحمل هذه الخطوة. وقد قال محمد حسنين هيكل محذرا، منذ ٢٣ أيار، إن إسرائيل ستشن هجوما لأنه لا يوجد خيار لديها سوى شن هجوم".

سؤال: ما هي الخطوة التي تتحدث عنها؟

بار أون: "الجميع يتحدث عن أن عبد الناصر أغلق مضائق تيران. وهذه خطوة لا يمكن تحملها بالنسبة لإسرائيل، وقد أعلنت إسرائيل دائما أن خطوة كهذه هي سبب للحرب. لكن هذا لم يكن السبب الأساس للحرب. إن السبب الأساس كان إدخال ٧٠٠ دبابة مصرية إلى داخل سيناء، ونشرها قريبا من الحدود. ولا يمكن لإسرائيل أن تسمح لنفسها بألا تنشر ٣٠٠ دبابة على الأقل عند الحدود مع مصر، لكي تحمي نفسها في حال اتخذت مصر قرارا بالهجوم. ومعروف لدينا أنه كانت لدى مصر خطط عسكرية لاحتلال جنوب النقب. وقد حضر [سعد

الدين] الشاذلي الذي كان قائد فيلق، وأصبح لاحقا رئيس أركان الجيش المصري، إلى سيناء وكانت لديه خطط لمهاجمة منطقة إيلات. هذا يعني أنه كانت هناك إمكانية لأن تشن مصر هجوما ضد إسرائيل، ولم يكن لدى إسرائيل خوف متخيل. وفي الوقت نفسه لم يكن بإمكان إسرائيل أن تحتجز قوات نظامية وقوات احتياط ودبابات عند الحدود طوال أسبوعين أو ثلاثة أسابيع وأن تُشل كل صناعتها. إسرائيل لا يمكنها الصمود في وضع كهذا. وقد تدخل الرئيس الأميركي ليندون جونسون في الأمر، وقال إنه سيسعى إلى التوصل إلى تسوية، لكنه لم ينجح. ولذلك لم يكن هناك خيار سوى أن نحل المشكلة بأنفسنا هنا. وبنظرة إلى الوراء أعتقد أن هذا قرار صحيح".

سؤال: هناك رواية إسرائيلية أخرى، وهي أن القيادة الإسرائيلية، أو ما يسمى بالمستوى السياسي، عارض الحرب.

بار أون: "عندما أدخل عبد الناصر جيشه إلى سيناء وطرد قوات الأمم المتحدة، أصبح الجيش المصري قريبا من حدودنا وقوات الأمم المتحدة اختفت. إضافة إلى ذلك فإن عبد الناصر أغلق مضائق تيران. ولكن في هذه الأوضاع، أرسل الأميركيون برقيات إلى إسرائيل طوال الوقت، وكان مضمونها: لا تشنوا حربا. وليفي أشكول، الذي كان رئيسا للحكومة، وعدد من الوزراء من حوله، مثل يغئال ألون وموشيه كرمل، قالوا إن ضباط الجيش الإسرائيلي على حق بأنهم يريدون شن الحرب، وأنه لا خيار سوى الخروج للحرب. وتلقى أشكول التعهد الأميركي بحل المشكلة، ولذلك فإنه عارض الحرب حتى الأيام الأخيرة قبل اندلاعها، وفي الأول أو الثاني من شهر حزيران [العام ١٩٦٧] اتضح له هو أيضا أن الأميركيين لا يستطيعون حل المشكلة. وتم الحديث في حينه عن قدوم قوات بحرية دولية من أجل اختراق مضائق تيران، لكن هذا أصبح متأخرا، لأن الشعب [في إسرائيل] أخذ يعتقد أن أشكول ضعيف ولا يجرؤ على شن الحرب. وحتى أنه تم التفكير في تغييره، وأن يخلي مكانه لموشيه ديّان وزير الدفاع. حتى أن وزير الخارجية، آبا إيبان، الذي كان مسالما جدا، أدرك في الأول أو الثاني من حزيران أنه لا مفر من الحرب. وما حصل عندها هو أن الملك الأردني حسين تخوف أيضا من أن الحرب قادمة، ووضع جيشه تحت إمرة قيادة الجيش المصري. وحتى نهاية شهر أيار أصبح معظم الوزراء الذين عارضوا مطلب الجيش يؤيدون شن الحرب".

سؤال: يصف المؤرخ الإسرائيلي توم سيغف، في كتابه "١٩٦٧ - والدولة غيّرت وجهها"، الوضع في إسرائيل عشية حرب الأيام الستة كالتالي: "ديّان ورابين هما محرضان على الحرب ويصعب لجمهما. ولم يكونا منصاعين لإمرة الحكومة. وقد نتج هذا الأمر بسبب الصراع بين الأجيال الذي دار بين المستوى السياسي والمستوى العسكري. وأبدى المستوى العسكري، وكان أعضاؤه أصغر سنا من أعضاء المستوى السياسي، استخفافا تجاه "يهود الشتات" الذين صارعوا على البقاء بواسطة استعطاف الدول العظمى الغربية. كذلك فإن "العجائز" لم يحاربوا في العام ١٩٤٨ مثل قادة المستوى العسكري، ديّان ورابين وغيرهما". أنت عشت هذه الفترة وتعرف الأشخاص في كلا المستويين. ما رأيك في رواية سيغف؟

بار أون: "الأمر الصحيح في هذه الجمل هو أنه كان يدور صراع بين الأجيال. وكان هناك اختلاف في خلفية الجانبين والتوجه نحو الحياة والعالم واستخدام القوة وما إلى ذلك. ومن هذه الناحية فإن هذا الوصف صحيح. لكن أن يقال إنهما 'محرضان على الحرب ويصعب لجمهما' فهذا ليس جديا. فالجيش في حرب الأيام الستة لم يخرق الانصياع للمستوى السياسي، وإنما عبر عن رأيه بشكل حازم في اجتماعات مع الحكومة وقال إن أشكول مخطئ في عدم سماحه بشن الحرب. وربما تسرب رأيهم، وخاصة رأي رابين، إلى الجمهور. وفي مرحلة معينة، لم ينجح رابين، الذي كان مقتنعا بأنه يجب شن هجوم، في إقناع أشكول. لكن كان هنا مفهومان متناقضان حيال حدود استخدام القوة. كما أن القول إن السابقين الذين ولدوا في الشتات 'استعطفوا'... هذه كلمة مهينة. وبن غوريون ولد في الشتات ولم يكن 'استعطافيا'، كما تصف الجمل التي ذكرتها. وكان الوضع حينذاك أن الاتحاد السوفياتي هدد إسرائيل كي لا تهاجم، كما أن جونسون أرسل برقيات وطلب ألا يهاجموا، وكان هناك تخوف من شن هجوم من دون مصادقة الدولتين العظمتين. هذا أمر جدي للغاية. وبن غوريون العظيم انسحب من سيناء [بعد العدوان الثلاثي] بعدما طولب بذلك. لقد تخوف من عقوبات. لذلك فإن البحث في مسألة كهذه بمصطلحات مثل 'محرضين على الحرب' هو أمر ليس جديا بشكل كاف. والجيل الجديد من الضباط، الكبار أو غير الكبار، والذين كانوا يحملون رتب قادة كتائب خلال حرب الاستقلال، كان لديهم توجه واثق أكثر من غيرهم حيال استخدام القوة، وكانوا يفكرون في حل المشاكل بواسطة القوة، وليس مثل أولئك الذين لم يكونوا في الجيش. وعلى سبيل المثال، فإن الوزيرين يغئال يادين وموشيه كرمل، اللذين كانا عسكريين، أيدا استخدام القوة".

منذ اللحظة التي احتلت فيها الضفة والجولان وسيناء، كانوا في إسرائيل على استعداد، بكل تأكيد، للانسحاب من سيناء، وربما ليس من شرم الشيخ من أجل الحفاظ على أماكن استراتيجية، والانسحاب من الجولان أيضا. وحتى أنهم أرسلوا بواسطة الأميركيين رسالة كهذه. ولكن ليس من الضفة. وبالتأكيد ليس من القدس. فبعد أيام على انتهاء الحرب تم ضم القدس الشرقية بإجماع إسرائيلي شامل، باستثناء أقلية صغيرة في اليسار، التي أدركت منذ ذلك الحين أنه من دون [الانسحاب من] القدس يستحيل التوصل إلى سلام

سؤال: هل كانت هناك نية لدى إسرائيل باحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء وهضبة الجولان، عندما قررت شن حرب حزيران ١٩٦٧؟

بار أون: "كانت النية، وهذا يظهر في الوثائق، توجيه ضربة للجيش المصري. أن يتم تدمير ال٧٠٠ دبابة في سيناء. لم يكن هناك تفكير في احتلال سيناء. وقد عارض ديّان وصول القوات الإسرائيلية إلى قناة السويس. وكان واضحا له سلفا أنه سيتنازل عنها إذا جرت محادثات مع المصريين. لكن ليس التنازل عما حلم به دائما بأن نستولي على رفح وإقامة منطقة أمنية حتى العريش. ولذلك فإنه منذ العام ١٩٦٧ كان يصر على هذا الموقف".

سؤال: وماذا عن الضفة الغربية وهضبة الجولان؟

بار أون: "إسرائيل لم تكن تريد احتلال الضفة الغربية. وقد أرسل أشكول برقية إلى [الملك] حسين مطالبا 'لا تدخل الحرب. نحن لا نريد مهاجمتك. وامتنع عن التورط معنا'. لكن جيش حسين كان قد أصبح خاضعا للجنرال المصري، الذي دفعه إلى مهاجمة كيبوتس رامات راحيل من جنين، واحتلال قصر المندوب السامي في القدس، وكان بحوزته مدفع بإمكانه قصف تل أبيب. وعلى أثر ذلك، وبمتعة بالغة، احتلوا الضفة".

سؤال: هل كان التفكير في إسرائيل هو الإبقاء على احتلال الضفة طوال هذه السنين؟

بار أون: "منذ اللحظة التي احتلت فيها الضفة والجولان وسيناء، كانوا في إسرائيل على استعداد، بكل تأكيد، للانسحاب من سيناء، وربما ليس من شرم الشيخ من أجل الحفاظ على أماكن استراتيجية، والانسحاب من الجولان أيضا. وحتى أنهم أرسلوا بواسطة الأميركيين رسالة كهذه. ولكن ليس من الضفة. وبالتأكيد ليس من القدس. فبعد أيام على انتهاء الحرب تم ضم القدس الشرقية بإجماع إسرائيلي شامل، باستثناء أقلية صغيرة في اليسار، التي أدركت منذ ذلك الحين أنه من دون [الانسحاب من] القدس يستحيل التوصل إلى سلام. وأعلن رابين أن القدس هي المدينة المقدسة التي حلمنا بها دائما، ولن نعيدها. لكن بالنسبة للضفة الغربية، فقد تم الحديث منذ البداية عن الانسحاب من قسم منها. وانظر خطة يغئال ألون، بعد شهرين من الحرب، وخطط ديّان. وقد رأى ديّان وألون أنه لا يمكن مواصلة احتلال الضفة كلها. وقال ديّان إنه لا ينبغي التنازل عن كل المنطقة ولكن ينبغي منح الفلسطينيين حكما ذاتيا بعيد المدى، باستثناء انتشار الجيش الإسرائيلي على طول نهر الأردن. وجميع الخطط والأفكار كانت تتجه نحو إعادة الضفة إلى الأردن. وفكرة الدولة الفلسطينية لم تكن مبلورة، ولا حتى لدى الفلسطينيين حينذاك. وقد جرى الحديث عن الدولة الفلسطينية فقط في مؤتمر المجلس الوطني الفلسطيني الذي عقد في العام ١٩٧٤ 'في الأراضي التي نحررها'. لكن في حينه جرى الحديث عن الخيار الأردني. وهذا الخيار بقي حيا بين زعماء حزب مباي حتى العام ١٩٨٧".

حرب تشرين ١٩٧٣

سؤال: كانت لدى الجيش الإسرائيلي في حرب الأيام الستة قوة هائلة، وتمكن من احتلال مناطق واسعة...

بار أون: "يمكن القول إنه كانت القوات متساوية بين إسرائيل ومصر، وحتى أن العتاد العسكري لدى المصريين كان أكبر. والهجوم الجوي الإسرائيلي الأول هو الذي حسم الحرب".

سؤال: ماذا حدث للجيش الإسرائيلي في حرب تشرين العام

١٩٧٣؟ هل السبب هو عامل المفاجأة من جانب مصر؟

بار أون: "لقد قضيت حياتي كلها في بحث هذه المواضيع، والآن أنت تريد أن أختصر كل ذلك. حسنا. جرى الحديث كثيرا عن أن حرب ١٩٧٣ كانت مفاجئة، ويتحدثون حتى اليوم عن إخفاق إسرائيل وأنها لم تتوقع الحرب. وبرأيي أن ما حدث هو وجود عدم فهم أساس لدى الجيش الإسرائيلي. وحتى لو كانت لدى إسرائيل معلومات حول هجوم مصري، قبل الحرب بأسبوع، لما كان بالإمكان منع الإخفاق. لماذا؟ لأن الجيش الإسرائيلي لم يدرك أن طبيعة الحرب تغيرت. لم يدركوا ماذا يعني هذا. وكانت الصورة أمامهم هي أن المصريين سيعبرون قناة السويس ونحن نلجمهم قليلا، وبعدها نستدعي قوات الاحتياط ونعيد المصريين إلى ما وراء القناة. هكذا اعتقد ديّان وكذلك دادو [رئيس أركان الجيش الإسرائيلي في الحرب، دافيد إلعازار]. لم يفهموا ماذا يعني أن ١٠٠ ألف جندي مصري يعبرون القناة على عشرين جسرا خلال ساعة واحدة، تحت تغطية قصف مدفعي وإطلاق آلاف القذائف المضادة للمدرعات. لم يفهموا هذا الأمر. وما حدث أن قيادة الجيش الإسرائيلي أخذت تفكر في شن هجوم مضاد. واتضح أن الهجوم المضاد فشل. حدث قصف مدفعي إسرائيلي مقابل قذائف ساغر [شديدة الانفجار] المضادة للمدرعات وصواريخ مضادة للطائرات. كذلك فإن القوات المصرية كانت محمية بواسطة ثلاثة أنواع من الصواريخ. هذه حالة حرب مختلفة تماما عما مضى. وقد فهم ديّان ذلك في الساعات الأولى من الحرب، وبعد أن شاهد ما حدث قال: دعونا ننسحب. واعتقدوا أنه جنّ وفقد سيطرته على أعصابه. ويتضح اليوم من خلال وثائق الاستخبارات أن [الرئيس المصري أنور] السادات لم يكن يريد احتلال سيناء. إنه يريد سيناء، ولكن أراد أن يصل بواسطة الحرب إلى وضع يحتل فيه شريطا قرب القناة وبعد ذلك الدخول في مفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية واتفاق. وهذا ما حدث. لقد كانت هذه الحرب انتصارا للسادات رغم أن قواتنا وصلت إلى مسافة تبعد ١٠٠ كيلومتر عن القاهرة. لكن في مرحلة معينة دخلت القوات السورية إلى الجولان ومارست ضغطا على السادات من أجل أن يدخل قوات إلى سيناء، بينما هو، وطوال الأيام الأولى للحرب، لم يدخل إلى الحرب الفيلقين الرئيسيين لديه. وعندها قرر إدخال أجزاء منهما وليس الفيلقين كلهما. وبعد ذلك شن الجيش الإسرائيلي هجوما منظما وأعطب بطاريات الصواريخ المصرية المضادة للطائرات، وعبر القناة ووصل إلى ضفتها الأخرى، وتم كل هذا بصعوبة بالغة ودارت معارك شديدة للغاية".

ديّان وشارون خلال حرب ٧٣.

سؤال: حتى متى بقيت في الجيش وماذا فعلت بعد ذلك؟

بار أون: "بقيت في الجيش حتى حزيران ١٩٦٨. وبعد ذلك قمت بعملين مهمين برأيي. أصدرت "ألبوم الجيش الإسرائيلي". الجميع يصدرون ألبومات، لكن ألبومي كان مميزا. فقد كان جديا ومنضبطا ومحترما، ومن دون انفعال وتأثر من الانتصارات. والأمر الثاني هو أني ساعدت في إصدار "نقاش المقاتلين" [يتضمن اقوال جنود وضباط إسرائيليين حول حرب الأيام الستة]. وهناك أمر ثالث وهو أني كتبت الخطاب الذي القاه رابين في الجامعة العبرية في جبل المشارف في القدس، بعد انتهاء الحرب. وهذه ثلاثة أمور عبرت عن وجهة نظري في ذلك الوقت، وهي أن هذه الحرب يجب أن تكون الحرب الأخيرة وينبغي أن يأتي السلام بعدها.

"بعد ذلك تم تعييني رئيسا لدائرة الشبيبة الطلائعية في الحركة الصهيونية العالمية، وهذه دائرة تابعة للوكالة اليهودية. وقد عملت على مدار سنوات في تنمية العلاقات بين إسرائيل ويهود الشتات. وقد كان هذا منصبا مثيرا جدا وسافرت إلى جميع أنحاء العالم تقريبا. وفي حينه لم أكن نشطا سياسيا رغم أني كنت عضوا في اللجنة المركزية لحزب العمل. لكني لم

فكرنا كثيرا جدا. أنا فكرت في ذلك كثيرا جدا. دعني أقول إن السبب هو أنني أتذكر الأماكن بأسمائها العربية. وهي تعيش أمام عيني، وأراها قبل الاحتلال، عندما عايشتها في ريشون لتسيون. وأراها وهي مهدمة. وهناك العرب الذين بقوا هنا. ومن جهة، ما زلت مؤمنا حتى اليوم أنه لا يمكن إعادة اللاجئين العرب. فهذا حل غير ممكن من دون تدمير دولة إسرائيل. وأنا أعارض هذا الحل. من جهة أخرى، يجب التفكير في تصحيح الوضع بواسطة إقامة الدولة الفلسطينية. وللفلسطينيين حياة وطنية خاصة بهم. وأعتقد أيضا، أن على إسرائيل الاعتراف بمساهمتها في إنشاء قضية اللاجئين

أهتم بهذه العضوية. كنت مهتما بعملي، وبإرسال أشخاص لمساعدة جاليات في الخارج والحفاظ على يهوديتهم إلى جانب تشجيعهم على محبة إسرائيل. وشعرت في العام ١٩٧٧ بأني فعلت الكثير في هذا المجال، وأردت أن أعود إلى الدراسة والحصول على الدكتوراه. فخرجت للتقاعد وبدأت الدراسة. وفي هذه المرحلة انضممت إلى حركة السلام الآن، التي تأسست في العام ١٩٧٨ . وكان مناحيم بيغن قد أصبح رئيسا للحكومة وبات واضحا لي أننا سنخوض نضالا من أجل السلام وإخلاء المستوطنات وانسحاب الاحتلال وكل هذه الأفكار التي ما زلت أتمسك بها حتى اليوم. ولم أكن بين مؤسسي السلام الآن، لكن بعد عودتي من الولايات المتحدة انضممت للحركة وأصبحت عضوا في إدارتها. وفي العام ١٩٨٤ أقنعوني بأن أترشح في المكان الثاني في قائمة حزب راتس، عشية الانتخابات، ودخلت إلى الكنيست سوية مع شولاميت ألوني وران كوهين. وبعد ذلك انضم إلينا يوسي سريد [الذي انشق عن حزب العمل] ومردخاي فيرشوفسكي [الذي انشق عن حزب شينوي]، وأصبحنا كتلة مؤلفة من خمسة نواب، وبعد ذلك تم الاتحاد مع حزب مبام [وتشكيل حزب ميرتس الحالي]".

مخيم الرشيدية

سؤال: كيف تلخص توجهاتك السياسية منذ العام ١٩٤٨ وحتى الآن؟

بار أون: "ينبغي التفريق بين الفترة ما بين الأعوام ١٩٤٨ – ١٩٦٧ والفترة ما بعد ١٩٦٧ . في الفترة التي كنت خلالها في الجيش، كنت أؤمن بالطريق التي بلورها بن غوريون وبشكل خاص موشيه ديّان، والتي تدعي أنه لا يوجد احتمال للسلام، لأن العرب هُزموا في العام ١٩٤٨ ، وحدثت ثورة في مصر وثورات في سورية وبعد ذلك ثورة في العراق، ولذلك فإن الفلسطينيين لن يوافقوا بالتأكيد على وجود إسرائيل. لماذا يجب عليهم أن يوافقوا على أن يقيم ٦٠٠ ألف يهودي دولة. وهناك اللاجئون. وبالتأكيد آمنت أن إسرائيل لا يمكنها ألا تضع في المكان الأول على سلم افضلياتها موضوع الأمن. وقد تغير هذا لدي منذ العام ١٩٦٧ ، وبت أعتقد أن الأفضلية الآن للسلام، فقد تم تثبيت الأمن".

سؤال: ربما لأنه أصبح لدى إسرائيل ما يمكن أن تعيده للفلسطينيين خصوصا والعرب عموما مقابل سلام، أي الأراضي المحتلة في حرب الأيام الستة.

بار أون: "نعم. أصبح هناك ما يمكن إعطاؤه. وقد فهم العرب أنه لا يمكن القضاء على إسرائيل. بالإمكان الانتصار عليها ولكن ليس القضاء عليها. ولذلك فإن ثمة أساسا ما للسلام".

سؤال: في العام ١٩٤٨ انقطعت حياة زاخرة ونشطة في المدن الفلسطينية التي كانت عامرة. وهذه الحياة في المدن الفلسطينية، يافا وحيفا وعكا وطبريا وغيرها، وفي القرى المهجرة أيضا، لم تعِد. انتهت. هل فكرتم بهذا الأمر مرة، بعد قيام إسرائيل؟

بار أون: "فكرنا كثيرا جدا. أنا فكرت في ذلك كثيرا جدا. دعني أقول إن السبب هو أنني أتذكر الأماكن بأسمائها العربية. وهي تعيش أمام عيني، وأراها قبل الاحتلال، عندما عايشتها في ريشون لتسيون. وأراها وهي مهدمة. وهناك

العرب الذين بقوا هنا. ومن جهة، ما زلت مؤمنا حتى اليوم أنه لا يمكن إعادة اللاجئين العرب. فهذا حل غير ممكن من دون تدمير دولة إسرائيل. وأنا أعارض هذا الحل. من جهة أخرى، يجب التفكير في تصحيح الوضع بواسطة إقامة الدولة الفلسطينية. وللفلسطينيين حياة وطنية خاصة بهم. وأعتقد أيضا، أن على إسرائيل الاعتراف بمساهمتها في إنشاء قضية اللاجئين. وبالتأكيد لا يوجد سبب لمطالبة العرب بالتنازل عن حق العودة. وعموما، الحق هو مسألة شعور. فاليهود لم يتنازلوا عن العودة إلى أرض إسرائيل. لذلك يجب احترام مشاعر الفلسطينيين فيما يتعلق بحق العودة. وسأروي لك قصة. في حرب لبنان العام ١٩٨٢ تم تجنيدي ضمن قوات الاحتياط في شعبة الناطق العسكري. وكنت أصطحب صحافيين إلى داخل لبنان. وفي أحد الأيام كنت في الرشيدية، وهو مخيم لاجئين فلسطينيين قرب صور. وكان المكان مدمرا تماما جراء قصف قواتنا. وأصدر أريئيل شارون أمرا بفتح الطرق. وكانت تقف هناك امرأة، في سني أو حتى أصغر مني ببضع سنوات. وتقدمت نحوها وكانت تجهش بالبكاء. فقد كان زوجها وابنها في منظمة التحرير الفلسطينية، وهي لا تعرف مكانهما. وابنها الآخر مدفون في استحكامات تم قصفها وقُتل هناك. باختصار كانت في وضع مروع. وأنا كنت أرتدي الزي العسكري، برتبة عقيد، وأحمل عوزي [أي بندقية أوتوماتيكية]. سألتها: هل يمكن أن أساعدك في شيء؟ فأجابتني: خذني ليوم واحد إلى القرية التي طردوني أنا وعائلتي منها في فلسطين.. لقد كانت تسكن في قرية الزيتون قرب صفد. هذه المرأة مدفون ابنها بين الأنقاض. وهي تعاني، وكل شيء مهدم من حولها، وتريد العودة إلى قريتها الزيتون. هذا يعني أن التفكير بالعودة عميق جدا وجديّ لدرجة أنه لا يمكن أخذ هذا الأمر منهم. ربما نتوصل إلى سلام بين الدول والزعامات، وسيكون هذا سلاما بشكل أو بآخر، لكن التفكير بأن نأخذ منهم الحق بأن يحلموا بالعودة مجرّد هراء".